Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأدب، ووالدتى التى أورثتنى الإدارة تقف بإرادتها دون رغباتى الفنية. حريتى الباقية لى إذن هى فرصتى الوحيدة وسلاحى الوحيد فى مقاومة كل تلك العقبات. . وحريتى هى تفكيرى. . . أنا سجين فى الموروث، حر فى المكتسب. . . وما شيدته بنفسى من فكر وثقافة هو ملكى، وهو ما أختلف فيه عن أهلى كل الاختلاف. هاهنا مصدر قوتى الحقيقية التى بها أقاوم» (سجن العمر ص ٢٨٨).

فى سيرة توفيق الحكيم نقاط قوة ونقاط ضعف. وفى اعتقادى أننا نُخطئ كثيراً إذا استخدمنا معايير فكرنا القومى، أو فكرنا السياسى بحديث وأردنا أن نحاكم توفيق الحكيم، وفكره وعقله السياسى، على أساسها. إن عصر توفيق الحكيم الحقيقى هو عصر ما قبل ثورة يوليو لعام ١٩٥٢. وفى ذلك العصر لم يكن الفكر العربى القومى شائعًا فى مصر كما كان شائعًا فى أقطار المشرق العربى. لقد كانت الوطنية فى مصر هى الوطنية المصرية. وفى بعض كتبه، ومنها كتاب (مصر بين عهدين) يشرح توفيق الحكيم تطور مصر المعاصرة وكيف انتقلت من المرحلة العثمانية إلى حكم الإنكليز ثم كيف حاولت البحث عن روحها وشخصيتها: «إن البحث فى العشرينيات عن «شخصية مصر» و«روح مصر» كان فى أعقاب ثورة ١٩١٩ أمرًا حيويًا خارجًا من ضرورة ملحة، من صميم كياننا، وهو إقناع من ينكر علينا وجودنا وحقنا فى الحياة» (ص ١٧). وإذا كان جيل توفيق الحكيم قد وجد الحلّ فى «مصر» وحدها لا فى «مصر العربية» أو فى «مصر العروبة»، فإن ظروف موضوعية قاهرة فى تلك المرحلة كانت تحجب الرؤية السليمة للواقع والتحليل الذى ينتهى بعروبة مصر.

توفيق الحكيم وطنى مصرى كبير. مصر موجودة فى كل كتاباته، وبخاصة فى كتابات مرحلة الصبا المبكرة من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٧. إن «عودة الروح» كُتبت عام ١٩٢٧ وإن لم تظهر فى كتاب إلا عام ١٩٣٣. وأول مسرحية كتبها الحكيم عام ١٩١٩، واسمها «الضيف الثقيل»، كانت تدور علىٰ استعمار الإنكليز لمصر. كانت نغمة «مصر» هى النغمة الوطنية الوحيدة يومها. فكيف نطلب من توفيق الحكيم، وهو ابن تلك المرحلة أن يهتدى إلى بوصلة مصر القومية التى لم تهتد إليها مصر إلا فى منتصف الخمسينيات؟

لقد كان الجيل الذى ينتمى إليه الحكيم أسير «سجن» من المفاهيم والمقولات والاجتهادات الخاطئة نتيجة لأسباب مختلفة منها ظروف العزلة عن البلاد العربية